هذا مقابل قوله (ومن الناس من يجادل في ا بغير علم) إلى قوله (يدعوهم إلى عذاب السعير) فأولئك الذين اتبعوا ما وجدوا آباءهم عليه من الشرك على غير بصيرة فوقعوا في العذاب وهؤلاء الذين لم يتمسكوا بدين آباءهم وأسلموا لما دعاهم إلى الإسلام فلم يصدهم عن اتباع الحق إلف ولا تقديس آباء فأولئك تعلقوا بالأوهام واستمسكوا بها لإرضاء أهوائهم وهؤلاء استمسكوا بالحق إرضاء للدليل وأولئك أرضوا الشيطان وهؤلاء اتبعوا رضى ا .

وإسلام الوجه إلى ا تمثيل لإفراده تعالى بالعبادة كأنه لا يقبل بوجهه على غير ا وقد تقدم في قوله تعالى (بلى من أسلم وجهه وهو محسن) في سورة البقرة وقوله (فقل أسلمت وجهي) في سورة آل عمران .

وتعدية فعل (يسلم) بحرف (إلى) هنا دون اللام كما في آيتي سورة البقرة وسورة آل عمران عند الزمخشري مجاز في الفعل بتشبيه نفس الإنسان بالمتاع الذي يدفعه صاحبه إلى آخر ويكله إليه . وحقيقته أن يعدى بالملام أي وجهه وهو ذاته سالما أي خالصا له كما في قوله تعالى (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي) في سورة آل عمران .

والإحسان : العمل الصالح والإخلاص في العبادة . وفي الحديث " الإحسان أن تعبد ا كأنه تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . والمعنى : ومن يسلم إسلاما لا نفاق فيه ولا شك فقد أخذ بما يعتصم به من الهوي أو التزلزل .

وقوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) مصي الكلام على نظيره عند قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با فقد استمسك بالعروة الوثقى) في سورة البقرة وهو ثناء على المسلمين .

عند الكرامة بلقاء وعدهم إلى إيماء (الأمور عاقبة ا وإلى) بقوله هذا وتذييل A E ا في آخر أمرهم وهو الحياة الآخرة .

والتعريف في (الأمور) للاستغراق وهو تعميم يراد به أن أمور المسلمين التي هي من مشمولات عموم الأمور صائرة إلى ا وموكولة إليه فجزاؤهم بالخير مناسب لعظمة ا .

والعاقبة : الحالة الخاتمة والنهاية .

والأمور : جمع أمر وهو الشأن .

وتقديم (إلى ا) للاهتمام والتنبيه إلى أن الراجع إليه يلاقي جزاءه وافيا .

(ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن ا عليم بذات الصدور [23]) لما خلا ذم الذين كفروا عن الوعيد وانتقل منه إلى مدح المسلمين ووعدهم عطف عنان

الكلام إلى تسلية الرسول A بتهوين كفرهم عليه تسلية له وتعريضا بقلة العبء بهم لأن مرجعهم إلى ا فيريهم الجزاء المناسب لكفرهم فهو تعريض لهم بالوعيد .

وأسند النهي إلى كفرهم عن أن يكون محزنا للرسول A مجازا عقليا في نهي الرسول E عن مداومة الفكر بالحزن لأجل كفرهم لأنه إذا قلع ذلك من نفسه انتفى إحزان كفرهم إياه .

وقرأ نافع (يحزنك) بضم التحتية وكسر الزاي مضارع أحزنه إذا جعله حزينا . وقرأ البقية (يحزنك) بفتح التحتية وضم الزاي مضارع حزنه بذلك المعنى وهما لغتان : الأولى لغة تميم والثانية لغة قريش والأولى أقيس وكلتاهما فصحى ولغة تميم من اللغات التي نزل بها القرآن وهي لغة عليا تميم وهم بنو دارم كما تقدم في المقدمة السادسة . وزعم أبو زيد والزمخشري : أن المستفيض أحزن في الماضي ويحزن في المستقبل يريدان الشائع على ألسنة الناس والقراءة رواية وسنة . وتقدم في سورة يوسف (إني ليحزنني) وفي سورة الأنعام (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) .

وجملة (إلينا مرجعهم) واقعة موقع التعليل للنهي وهي أيضا تمهيد لوعد الرسول A بأن ا يتولى الانتقام منهم المدلول عليه بقوله (فنبئهم) مفرعا على جملة (إلينا مرجعهم) كناية عن المجازاة ؛ استعمل الإنباء وأريد لازمه وهو الإظهار كما تقدم آنفا .

وجملة (إن ا عليم بذات الصدور) تعليل لجملة (فنبئهم بما عملوا) فموقع حرف " إن " هنا مغن عن فاء التسبب كما في قول بشار : .

" إن ذاك النجاح في التبكير وذات الصدور : هي النوايا وأعراض النفس من نحو الحقد وتدبير المكر والكفر . ومناسبته هنا أن كفر المشركين بعضه إعلان وبعضه إسرار قال تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) وتقدم في قوله تعالى (إنه عليم بذات الصدور) في سورة الأنفال